وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت /كلية التربية
للعلوم الانسانية

قسم التاريخ/دكتوراه إسلامي

المادة الدولة العباسية

# عصر القوة جـ4 (المأمون , المعتصم)

أ.د حنان عبد الرحمن طه

## عبد الله المأمون 198هـ-218هـ

اشتهر المأمون بصفات ميزته عن سائر الخلفاء العباسيين منها ميله إلى العفو وكراهيته للانتقام، وكرمه الذي فاق كرم كافة الخلفاء العباسيين، وقوة حجة الإقناع الديه، كان حاضر البديهة، سريع الجواب أدبياً، يعرف جيد الشعر من رديته، ويحب سماع الغناء.

**الأوضاع في بغداد في بداية عهد المأمون:**

أراد الفضل بن سهل أن يقطف ثمار انتصاره، فلم يكد نبأ قتل الأمين يصل إلى مرو، حتى نصح الخليفة بإحداث تغييرات في الإدارة تتماشى مع الوضع الجديد. وقد هدف إلى إبعاه القائدين طاهر بن الحسين وهرثمة بن أمين عن العراق للتفرد يحكمه استجاب المأمون النصيحة وزيره، فعزل طاهر بن الحسين عن العراق وعين أنحاء الحسن بن سهل عليه، كما أرسل هرثمة بن أعين إلى خراسان وقد ادى ابتعاد هدين القائدين من العراق إلى انتشار الاضطرابات فيها. ومن جهته، فقد أراد الخليفة أن يكافي، وزيره، فطلع عليه لقباً جديداً هو ذوالرئاستين، أي رئاسة السيف ورئاسة القلم، وهذه خاصية تدل على مدى النفوذ الواسع الذي وصل إليه هذا الرجل الفارسي وإلى جانب هذه الخاصية، تمتع الفضل بخاصية الأمرة، وهو أول و وزير لا وأول وزير اجتمع له القلب والتأمير، وكان يقال له الوزير الأمير وفوض إليه أيضاً إدارة شؤون الدولة. سبب هذا التصرف، من جانب المأمون، سخط العناصر العربية، واستياء بني هاشم، ووجوه الناس، فنشبت الفتن في بغداد، وبايع سكانها المنصور بن المهدي. عم المأمون، وقد رفض قبول البيعة له بالخلافة، وإن كان قد وافق على أن يلي أمر بغداد باسم المأمون ومما ساعد على تأجيج الوضع، فجر الناس من هذا النزاع وما أفرزه، حتى تمنوا الخلاص، ومما زاد الأمر تعقيداً وخطورة كلف به طاهر القوية عن العراق وضعف حكم الحسن بن سهل، وميل المأمون إلى الطالبيين، وقد ظهر ذلك بصورة فجائية ولأول مرة وتمثل في البيعة لعلي الرضا.

حدث أثناء إقامة المأمون في مروة أن مال إلى الطالبين، وليس الثياب الخضراء شعارهم، وطرح السواد شعار العباسيين، وصاهر علي بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الإمام الثامن من أئمة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ثم ولأه عهده في عام ٢٠١ هـ وسماه الرضا إذ كان رضياً عند أمير المؤمنين لكن هذه البيعة لم تمر دون أن تخلف أثراً، لذلك فهي تحتاج إلى قراءة متأنية ووقفة تأمل السير مواقعها ونتائجها. لما من حيث الدوافع، فلا بد لنا من العودة قليلاً إلى الوراء لدخول مجالس القصر في عهد الرشيد، وتشهد المناقشات الفكرية والسياسية لأهل الكلام من معتزلة وشيعة، التي كانت تعقد بتشجيع من البرامكة، وكانت الخلافة أحد أبرز مواضيعها. وقد حصل

تقارب بين المذهبين المعتزلي والشيعي نتيجة نظرتهما المشتركة من موضوع الخلافة فيرى أكثر علماء المعتزلة بأحقية علي بن أبي طالب بالخلافة.

وقد نشأ المأمون في ظل هذه المناقشات الفكرية، وتأثر بمضامينها، لذلك تبتى آراء المعتزلة، خاصة في موضوعي الخلافة وخلق القرآن ، وتلاحظ أن الشهود الذين والعوا على وثيقة العهد لعلي الرضا كانوا من المعتزلة المعروفين بميولهم العلوية كما وقعها كبار المتشيعين إلى جانب هذه الظاهرة، فقد تربى المأمون في بيئة فارسية بفعل هوية والدته الفارسية، تؤمن بأحقية علي بن أبي طالب وأولاده من بعده، بالخلافة، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بخراسان، فأظهر التشيع ومال إلى العلويين.

وأخذت حركته تتسع، ونفوذه يتعاظم، حتى راح بهذه الأطراف الإسلامية. والمد له قادته ما قاله الرضا وأشاروا عليه أن يسير، على عجل، إلى بغداد ليستدرك أمره وإلا خرجت الخلافة من يده، فقرر العودة إلى بغداد، واتجه إليها في عام202 هـ

وتمثل هذه العودة إلى العاصمة المركزية تغييراً جوهرياً في مسار دولة الخلافة العباسية، وهذا يعني زوال الصبغة الفارسية التي اصطبغت بها طوال الفترة التي قضاها المأمون في مرو، والعودة إلى الأصول العربية التي تمثلها بغداد حاضرة آبائه، وهذا ما أزعج الفضل بن سهل، لأنها تحمل في طياتها ضياع نفوذه وسلطانه . ويبدو أن المأمون شعر بعدم رضى وزيره عن هذا التغيير المزمع إحداثه، وأنه سوف يشكل عائقاً أمامه حين يقدم على مصالحة أسرته وأهل بغداد، يضاف إلى ذلك من أنه يخطط له فقد رأي المأمون . خلال صرفات وزيره لكي يسيطر، سيطرة تامة على الدولة العباسية من داخلها، وتوضحت له جوانب السياسة التي كان ينتهجها، ، وتشكل تناقضاً كاملاً مع المصالح العليا للدولة العباسية، لذلك عمل على التخلص منه ضرورة سياسية وتم مقتل الفضل بن سهل في عام ٢٠٢ هـ ثم استأنف رحلة العودة إلى بغداد ولما وصل إلى طوس توفي على الرضا فجأة في أوائل عام ٢٠٣ هـ فتدفنه المأمون فيها بجوار قبر والده الرشيد. وقد اختلف المؤرخون في الكيفية التي مات عليها، وتتهم الشيعة المأمون بأنه سمه في عنب، وأطلقوا على مدينة طوس اسم المشهده وكانت وفاة هذين الرجلين من أهم الأسباب التي حملت العلويين على كراهية المأمون ودخل المأمون بغداد 204هـ وكان لا يزال، هو وجميع من معه، يرتدون الملابس الخضراء ويحملون الرايات الخضراء وقد خلعها ولبس الاسود.

**العلم في عهد المأمون:**

شهدت عصر المأمون تلك النهضة العلمية التي الظهرت في العصر العباسي الأول بوجه عام، وفي عهده بوجه خاص ويعتبر عهد هذا الخليفة من أرقى المهرة العلمية في العصر العباسي الأول

حيث وصلت الجهود الثقافية إلى الذروة، وذلك بفعل أسباب ابرزها أن المأمون منذ صغره، قد درس العلم والفقه والتاريخ والحديث والتفسير واللغة، وكان محباً للعلم وأباح المناقشات الفكرية وشارك فيها بنفسه سخر كل الإمكانات وملكه كافة في سبل على الكنوز الذكرية في مكتبات القسطنطينية شهد عصر المأمون نهضة علمية بفعل الكتاب الناس على البحث العلمي والإقبال على المعارف القديمة، وازدياد عدد العلماء في الأمصار نمو العلاقات بين الدول، آنذاك، والجهود التي بذلها العباسيون في إحلال السلام، بالإضافة إلى المبادلات التجارية على المعارف ازدهار حركة التعريب التي وصلت إلى الذروة.

عمدت الدولة العباسية، منذ عهد المنصورة إلى عند الصفات التجارية الخاصة بشراء الكتب والحصول عليها، وقد تدفع في سبيل ذلك أعلى الألمان. وازدادت هذه الظاهرة في عهد المأمون، فكان على اتصال دائم بالأمبراطورية البيزنطية

**وفاة المامون :**

عهد المأمون، قبل وفاته، إلى أخيه المعتصم بعد أن عزل أخاه القاسم, توفي سنة 218هـ وحمل إلى مدينة طرسوس ودفن فيها، واضطر المسلمون إلى إعلاء موقعهم فيما وراء جبال طوروس .

## أبو إسحاق محمد المعتصم ٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي، يقال له : المثمن لأنه ثامن ولد العباس وثامن الخلفاء من قريته ومنها تمكن من إحراز ثماني فتوحات، وأقام في الخلافة ثماني سنوات وثمانية أشهر وثمانية أيام، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة الهجرية وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون عاماً، وأنه خلف ثمانية بنين وثماني بنات ، كان أمياً لا يحسن الكتابة، إلا أنه يوصف بأنه جندي شجاع، مدرب في الحرب، كما يوصف بقوته الجسمية بويع له بالخلاقة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس. وقد سعى بعض الأمراء إلى تولية العباس بن المأمون، لكن هذا الأخير أسرع إلى مبايعة عمه احتراماً لوصية والده وتسكيناً للجند.

حكم المعتصم الدولة العباسية حكماً استبدادياً، مقروناً بشيء من العطف وحسن التدبير، وتميز بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس والمهابة، أوقع بالعمارة والزراعة والرس وقته لتشييد القصور وتخطيط الحدائق والبساتين.

لكن لم تكن سياسة المعتصم نحو الطالبين أقل شدة من شده من سياسة الخلفاء العباسيين الذين حكموا قبله، باستثناء المأمون، وقد خرج في خرج في عهده محمد بن الله القاسم بن علي الزيدي في عام ٢١٩ هـ ٨٣٤ بالطالقان ، فالف حوله كثير من سكان كور خراسان حركته لم تكن منظمة، ولم تشكل خطراً جدياً على حكم المعتصم، الذي أمر قائده عبد الله بن طاهر، أمير خراسان، بالتصدي له، وتمكن هذا القائد من هزيمته، وقبض عليه، وأرسله إلى سامراء حيث سجن فيها، إلا أنه فر من سجنه بمساعدة رجال من شيعته، وتوارى أيام المعتصم والواثق ثم أخذ في أيام المتوكل فسجن ومات.

وتوفي في عهد المعتصم في عام ٢٢٠ هـ محمد الجواد بن علي الرضا تاسع أئمة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وقد اطمأن المعتصم لهذه الوفاة، بعد أن حتى أن ينافسه على الحكم، ويطالبه بتولي الخلافة، على اعتبار أن أولاده من سلالة المأمون من زوجته أم الفضل.

**القضاء على حركة بابك :**

كان المعتصم عند حسن الظن به فقد صمد حربه ضد البابكية حتى قضى على حركتهم في عام ٢٢٣ هـ ، فقد ركز جهوده، بعد استقرار الوضع الداخلي على حرب بابك وأرسل الحملة تلو الحملة ضده. ومن جهة أخرى، فقد تفاقم خطر بابك بعد أن دخلت أذربيجان في حوزته، فنشر الرعب في المنطقة الممتدة على أيران. وتمكنت إحدى الفرق العباسية بقيادة إسحاق بن إبراهيم بن مصعب أن تقضي على أتباعه في إيران في عام ٢١٨هـ وعين المعتصم عام ٢٢٠ هـ من أعظم قادته وهو الأفشين حيدر بن كاوس أميراً على الجبال و أمره بقتال بابك تميز هذا القائد بالحذر الشديد، والخبرة بالمسالك الجبلية، فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء، فعسكر في برزند من نواحي تفليس، وضبط الحصون والطرق فيما بينه و بين أردبيل، ووزع جنده على مختلف القلاع والمواقع . وكان المعتصم بعده بالإمدادات والمؤن، ونفقات الجلد باستمرار، ورتب البريد، ومهد الطرقات التأمين المواصلات والاتصالات ، حتى أضحى تبادل الرسائل بين سامراء ومعسكر الأفشين يستغرق مدة أربعة أيام أو أقل ، كما استعمل الحمام الزاجل لنقل الأخبار، لأول مرة، في هذه بسرعة وكان المعتصم يشرف على سير المعارك من سامراء، ويضع الخطط العسكرية بنفسه. وبذلك أضحى للمسلمين سلسلة من الحصون المتماسكة في مواجهة بابك ولجأ الأفشين إلى استعمال الأسلوب التجسس كي يضعف خصمه ويطلع على خططه فكان يستقطب من يظفر به من جواسيسه، فيضاعف لهم العطاء ويسخرهم في التجسس له أدرك بابك على الفور أنه يواجه هذه المرة قائداً محنكا، وحتى يخفف الضغط عن قواته في أذربيجان، ناشد الأمبراطور البيزنطي ثيوفيل بمهاجمة الأراضي الإسلامية ووعده بأن يعتنق النصرانية. نتيجة هذا الاحتقان كان لا يا بد أن يقع الصدام بين الجانبين، بعد هذه الاستعدادات العسكرية، فأصدر الخليفة أوامره

إلى الأفشين ببدء العمليات العسكرية وحدد له مدينة البد كأول هدف عسكري، بعد اضطرار بابك إلى التحصن فيها على أثر احدى المعارك لم يتسرع الأفشين في تقدمه نحو البدء وأخذ يزحف متأنياً حتى وصلها وغرب عليها حصاراً مركزاً، متخذاً من مدينة الروذ معسكراً جديداً لقواته. وحاول بابك في غضون ذلك استمالته لكنه لم ينجح. وبقي الأفشين محاصراً البد حتى تمكن من دخولها شهر رمضان عام ٢٢٢ هـ و بعد سقوط البدء سار الافشين إلى أرمينيا، فكتب الأفشين إلى ملوكها وأمرائها بسد الطرق عليه وتذكر المصادر أن البطريق سهل بن سنباط تعرف على مكان فانه ثم غدر به وسلمه إلى الأفشين وجيء ببابك إلى سامراء عام ٢٢٣ هـ .

**حركة المازيار :**

ما كانت دولة الخلافة العباسية التخلص من الأخطار التي كانت تمثلها حركة بابك الخرمي في المناطق الواقعة إلى الغرب من بحر قزوين، حتى واجهتها حركة فارسية أخرى، تمثلت في حركة المازيار بن قارن آخر الأمراء القاريانيين بطبرستان الذي اتخذ من موطنه مسرحاً لنشاطه الثوري المعادي للدولة. كانت هذه الحركة استقلالية، فأراد الانفصال عن جسم الدولة فاستغل الخصومة بين الطاهريين، الذين كان يكرههم، وبين الأفشين الطامع في ولاية خراسان الذي رافع راية الثورة، وكان هذا الأخير قد كاتب المازيار وشجعه على إعلان العصيان على حكمهم، أملاً أن لا يتمكن هؤلاء من إخضاعه، فيتخد عندك، ذلك ذريعة لانتزاع خراسان منهم . لكن هذه العلاقة بين الأفشين والمازيار لم تكن بهذه السطحية وأن الصلة التي جمعت الرجلين بعيدة الفور عميلة الجذور فقد اعترف المازيار بأن الأفشين حرضه على الخروج والعصيان ، ودين الفقوا عليه من مذاهب الثنوية كما كان المازيار يكاتب بابك، ويعرض عليه المساعدة والراجح أنه كان على مذهب الخرمية، ذلك المذهب الذي أضحى يمثل ثورة الوعي الفارسي عند سلطان العباسيين وضد المجتمع الذي أقاموه.

والواقع أن هذه الحركة ولدت ميتة، ذلك أن توقيت إعلانها في عام224هـ ما لم يكن مناسباً. فقد كانت دولة الخلافة العباسية آنذاك في وضع مستقر، وعلى درجة عالية من القوة، وذلك بعد أن تخلصت من العديد من الحركات المعادية التي قامت في وجهها، وبالتالي فإن القضاء على حركة المازيار لم يكلفها الكثير من الجهد. أما نهاية المازيار فقد كانت شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة ثم صلبه إلى جانب بابك.

**ظهور العنصر التركي:**

بويع المعتصم بالخلافة في ظل ظروف من الصراع العنيف بين العرب من ناحية، والفرس الذين حطوا بعطف المأمون خلال السنوات الأولى من خلافته، من ناحية أخرى، واختلال في التوازنات

بين العناصر التي تكونت منها الدولة العباسية . فقد سات العلاقات بين العباسيين والخراسانيين منذ انتقال المامون من مرو وظهر أثر الفارسية، وبالتالي استحالة التوفيق بين تطلعات الخراسانيين ومصالح العباسيين ذلك في القضاء على بني سهل وقيام الحركات المناهضة للدولة ذات الخلفيات وبدأت ثقة المعتصم بالفرس لضعفه ومن جهة أخرى، لم يركن المعتصم إلى العنصر العربي، ولم يثق بالعرب، نظراً لكثرة تقلبهم، واضطرابهم، وقيامهم ضد الخلفاء، بالإضافة إلى أن هؤلاء فقدوا كثيراً من مقومات قوتهم السياسية والعسكرية فأصبحوا أقل خطورة وأضعف شأناً.

حملت هذه المعطيات المعتصم على أن يوكل أمر سلامته الشخصية إلى فرقة من العنصر التركي، وقد توافقت طباعه النفسية وصفاته الجدية من حيث القوة والشجاعة ومتانة الجسم، مع صفات أخواله الأتراك كأمة عنيفة محاربة شديدة البأس. وأضحى لهذا العنصر أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية بالرغم من أن الأتراك لم يكونوا أهل حضارة عريقة، وأصبح الحرس التركي يمثل دعامة من دعائم الخلافة أيام حكمه. والواقع أن الأتراك نقلوا إلى المجتمع الإسلامي منذ العهد الأموي على أثر الفتوحات الإسلامية لبلاد ما وراء النهر، لكن لم يكن لهم أي تأثير سياسي في المجتمع الإسلامي، إلا أن هؤلاء، وقد دخلوا في صميم الحياة الإسلامية منذ العهد العباسي وبدأ عندهم يتزايد، أخذوا يظهرون على مسرح الأحداث في بغداد ظهوراً واضحاً.

**القضاء على الأفشين** :

استغل بعض القادة الأتراك في الدولة العباسية، مناصبهم القيادية، ونفوذهم في البلاط ليحققوا طموحاتهم بالانفصال عن الدولة، وكان من بين هؤلاء الذين من تمتعوا في استقلالية، القائد التركي الأفشين الذي اراد تأسيس دولة انفصالية له في منازعات وعندما علم المعتصم ب مؤامرته ، فتغيرت سياسة الخليفة تجاهه، وأدرك من جانبه هذا التغير مما دفعه إلى التفكير بالتخلص من الخليفة ، لكن القبض عليه، وحاكمة المعتصم لكن محضر المحاكمة لم يشر إلى المؤامرة، وإنما هي مجموعة لهم أريد بها إثبات أن الأمشين لم يعتنق الإسلام حقيقة. ولا يزال يتعصب للمجوسية، ويسعى للقضاء على دولة الخلافة العباسية، ولعل هدف المعتصم، كان منع تسرب الشلك إلى القاعة الأتراك الآخرين ولو في الأفشين في سجنه في عام ٢٢٦هـ.

علاقة المعتصم مع البيزنطيين

توقف القتال بين المسلمين والبيزنطيين في السنوات الأولى الخلافة المعتصم، نتيجة انشغال الخلافة بالقضاء على ثورة بابك الخرمي وفي المقابل فقد تصرف الأمبراطور البيزنطي ثيوفيل إلى التخطيط الاستعادة جزيرة صقلية من أيدي المسلمين

اعتبر المعتصم هذه الغارة البيزنطية تحدياً شخصياً له قبل أن تكون تحدياً للخلافة العباسية، فقبل التحدي وعزم على أن يثار فما كاد ينتهي من إخماد ثورة بابك المحرمي، في عام ٢٢٣ هـ حتى أعد جيشاً كثيفاً بهدف توجيه ضربة قاصمة للأمبراطورية، تقضي بدورها على هيئة الأمبراطور، وخرج هو على رأس هذا الجيش متجها صوب عمورية مسقط رأس أسرة تيوفيل عازماً على تدميرها، والجدير بالذكر أن الاستيلاء على عمورية يعتبر خطوة للوصول إلى القسطنطينية.

غادر الخليفة سامراء وهو على تعبئة، وجعل القرة أول هدف للحملة، فعين اشناس التركي قائداً للمقدمة، وإيناخ قائداً للميمنة، وجعفر بن دينار على الميسرة وعجيف بن عنبسة على القلب، وشارك الأفشين في الحملة على رأس فرقة عسكرية وكتب على الوية الجيش وتروسه عمورية وقرر دخول الأراضي البيزنطية من ثلاثة. محاور فتوجه جيش الشرق بقيادة الأفشين نحو مدينة سروج ليدخل الأراضي البيزنطية في يوم محدد عن طريق درب الحدث ، أما جيش الغربي، فكان عليه أن يتقدم عبر جبال طوروس إلى مدينة الصفصاف الواقعة قرب قلعة الؤلؤة على أن يلتقي بجيش الشرق في سهل القرة، وقاد الخليفة القسم الثالث من الجيش وزحف مباشرة نحو أنقرة ورسم الخليفة خطته على أن تجتمع الأقسام الثلاثة عند سهل القرة لمهاجمة المدينة .

وغادر القسطنطينية في هذه الأثناء، الأمبراطور البيزنطي ليوفيل بعدما علم بما وضعه الخليفة من خطط من أنقرة وعمورية، وتوقف في دور يليوم على بعد ثلاثة أيام من عمورية وأمر بتحصين هذه الأخيرة، وبعث الإمدادات إليها، أما الخطة القتالية التي وضعها فكانت تقضي بمهاجمة القوات الإسلامية أثناء زحفها نحو الشمال باتجاه أنقرة، ومن أجل ذلك عسكر على نهر هاليس، واستعد لعبوره ليفاجيء المسلمين ظناً منه بأن هذه القوات سوف تجتاز درب كيليكيا في طريقها إلى أنقرة، ولم يكن يعلم شيئاً عن جيش المسلمين وبدت المعركة سنة 223هـ وعلى الرغم من أن البيزنطيين أحرزوا نصراً أولياً إلا أن فرسان المسلمين حولوا الموقف من الهزيمة إلى النصر، ووقع الاضطراب. في صفوف البيزنطيين عندما شاع خبر بأن الأمبراطور لقي مصرعه والمعركة دائرة فانهزم البيزنطيون وهربوا لا ينوون على شيء. وترك الأمبراطور ساحة المعركة بعد. قليل من العناء، وسار حتى بلغ مدينة خليوكو من شمالي أماسيا حيث جمع فلول جيته الهارب، وعاد إلى معسكره على نهر هاليس،

وتقدم الخليفة باتجاه عمورية بعد تدمير أنقرة فوصلها في سبعة أيام وشرع في حصارها، وعلى الرغم من مناعتها وحصانتها إلا أنها استسلمت في السابع عشر من شهر رمضان عام ٢٢٣ هـ .

وفاة المعتصم:

توفي المعتصم في اليوم الأول من شهر محرم عام ٢٢٧ هـ فأصيب، عقب ذلك، بالمرض الذي قضى عليه الثمان ليالي مضت من شهر ربيع الأول , وكان قد ولى عهده ابنه هارون، ولم يشرك معه في الولاية أحد.